﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التّوبة: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـرّبـط بين العتاب على التّخلّف عن الجهاد، وبين التّبكيت والتّقريع على التّقاعس عنه

"لَمَّا كان هذا العتابُ مؤذِنًا بأنَّ فيهم من تَباطأ عن الجهاد اشتغالًا بنحو الأموال والأولاد؛ كان ما اشتملت عليه هذه الآياتُ من الأوامر والزَّواجرِ والمواعظ، جديرًا بأن يخفِّف كلَّ متثاقلٍ، وينشِّط كلَّ متكاسلٍ، فالتفت من لطف الإقبالِ إلى تبكيت المتثاقلين، بأسلوب الإعراض المؤذِنِ بالغضب المحقَّقِ، للسَّخط المبيِّن لفضائحهم"[1].

وفي مناسبة الآية لِما قَبْلها وجهٌ آخرُ، وهُوَ أنَّهُ "لَمَّا بالغ في ترغيبهم في الجهاد، وأمرهم بالنَّفير؛ عاد إلى تقرير كونهم متثاقلين"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿عَرَضًا﴾: العَرَض - محرَّكةُ الرَّاءِ بالفتح -: ما يَعرِض ويزول، ممَّا لا ثبات له، فإذا سُكِّنت الرَّاءُ؛ ذهب المعنى إلى خلاف الطُّول، وهو في الآية على معانٍ منها: المطلبُ السَّهل[3]، والغنيمةُ الباردة[4]، والمتاع العارض لصاحبه[5] حقيقة أو تفكُّرًا، ومنه: المحمود والمذموم، ويحتملهما اللَّفظ في الآية، ويذهب المعنى تبعًا للهِمَّة والنِّيَّة، ومن المتمحِّض معنى في الممدوح قوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: 67]، فهو مشورةُ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وفعْل النَّبيِّ ﷺ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/322.
(2) ابن عادل، اللُّباب: 10/99.
(3) الرَّاغب، المفردات: (عرض).
(4) الدَّامغانيّ، الوجوه والنَّظائر: 2/75.
(5) الهابط، معاجم ألفاظ القرآن الكريم: 2/758.

والآية نزلت في صنيعهم بأسرى بدر، وقد قال ابن مسعود ﷺ: لم أكن أظنُّ أحدًا من أصحاب محمَّدٍ يريد الدُّنيا حتَّى نزلت: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران: 152]، فذَكَرَ ما نزل في أُحُدٍ بعد الأولى بسنة؛ فلم يعهد الصحابيُّ من معنى الأولى عرَضًا منقوصًا أو مغمومًا على أصحابه، بل لِما ذُكِرَ في المشورة وأمضاه رسول الله ﷺ وكلُّه ممدوح، والمقابلة بين الدُّنيا والآخرة لا تقتضي خلافًا لِما تقدَّم؛ فتقديم بعض الأجر في الدُّنيا وتأخير بعضه في الآخرة هو خيرٌ، كما لو ادُّخِر كلُّه وبقي، لا سيَّما مع الضَّرورة الملجِئَة والحاجة الشَّديدة والجهد المضني، وفي قول النَّبيِّ ﷺ لعمر ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّه أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[1]، دليلٌ على تحقُّق ما أراد الله لهم من الآخرة، فاجتمعت لهم الحُسْنَيَان.

2) ﴿قَاصِدًا﴾: "القَصْد: استقامةُ الطريق، يقال: قصدتُ قصدَهُ، أي: نحوتُ نحوهُ، وقوله: ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ أي: سفرًا متوسِّطًا، غير متناهي البُعد، وربَّما فُسِّر بقريب"[2]، والصَّحيح الأوَّلُ، والمعنى الذي تدورُ عليه مادَّةُ القافِ والصَّادِ والدَّال: هُو "توسُّط الشَّيءِ في حاله، أو توسُّطُهُ بالأَمِّ والاتِّجاه، ومنه: سفَرٌ قاصدٌ: سهلٌ قريب، فهو متوسِّط ليس بعيدًا ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، وطريق قاصدٌ: سهلٌ مستقيمٌ، أي: فهو أقرب"[3].

3) ﴿بَعُدَتۡ﴾: "البُعْد: ضدُّ القُرب، وليس لهما حدٌّ محدودٌ، وإنَّما ذلك بحسب اعتبارِ المكان بغيره، يُقال ذلك في المحسوس وهو الأكثر، وفي المعقول نحو قول اللهِ ﷻ: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: 167]، وقوله ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [فصلت: 44]، يُقال: بَعُد إذا تباعد، وهو بعيدٌ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۭ ٨٣﴾ [هود: 83] وأكثرُ ما يُستعمَلُ الفعْلُ (بَعِدَ) في الهلاك، نحو قول الله تعالى: ﴿بَعِدَتۡ ثَمُودُ ٩٥﴾"[4]، ومعنى: "بَعُدَت: صارت بعيدة، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾"[5] أي: رأوا السَّفر شاقًّا، فتعلَّلوا بمشقَّته.

4) ﴿ٱلشُّقَّةُۚ﴾: مِنْ شَقَّ، والشَّقُّ: الخَرْمُ الواقعُ في الشَّيءِ، كقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا

(1) رواه البخاريُّ في صحيحه، برقم: (3007)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2494).
(2) الرّاغب، المفردات: (قصد).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قصد).
(4) الرّاغب، المفردات: (بعد).
(5) الهابط، معجم ألفاظ القرآن الكريم: 1/144.

ٱلۡأَرۡضَ شَقَّا﴾، والشَّقُّ بتشديدِ الشِّين مفتوحَةً ومكسورةً: المشقَّة والانكسار الَّذي يلحق النَّفسَ والبدنَ، وذلك كاستعارة الانكسار لها، قال الله ﷻ: ﴿لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ [النحل: 7]، والفَتْحُ والكسر مصدران بمعنى واحدٍ هو المشقَّة، أو بالفتح: المصدر، وبالكسر: اسمٌ بمعنى النِّصف، كأنَّه ذهب نصف قُوَّته من النَّصب والتَّعَب، وبفتح الشِّين قرأ أبو جعفر، وبكسرها باقي العشرة[1]، والشُّقَّةُ: النَّاحيةُ التي تَلْحَقُك المشقَّةُ في الوصول إليها، وقال ﷻ: ﴿بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾، والشِّقاق: المخالفة"[2]؛ لِما يوجِبُ من النَّفرة المفضية إلى التَّجافي والتَّباعد.

5) ﴿يُهۡلِكُونَ﴾: مِنْ هَلَكَ، والمصدرُ: الهلاكُ، والهلاكُ يَرِدُ على أوجهٍ: افتقاد الشيءِ عنك، وهو عند غيرك موجود، كقوله جلَّ وعلا: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ [الحاقة: 29]، وهلاكُ الشَّيءِ: باستحالة وفساد، كَقولهِ سبحانَهُ: ﴿وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ﴾ [البقرة: 205]، ويَرِدُ الهلاكُ بمعنى الموت، كقوله جلَّ شأنُهُ: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ [النساء: 176]، ويُقال للعذابِ: هلاكٌ، ومنهُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾ [الكهف: 59][3].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

لو كان ما دعوتَ إليه المنافقين المتخاذلين عنِ الخُروج معك لغزو الرُّوم غنيمةً باردة أو سفرًا قاصدًا لا يَلْقَوْن فيه كَيْدًا، ولا يُواجهون فيه عدُوًّا، لأجابوك إلى ما دَعَوْتَهم، إيهامًا منهم أنَّهم مِنْكُم، غيرَ أنَّه لما اشتطَّ المقصد، ونأت الغايةُ، وطال السَّفر المقتضي بُطْءَ العودة؛ جَبُنوا عنِ الخروج، وأخلدوا إلى ما هُم فيهِ

لو كان الغزو غنيمة باردة، لسارعوا إليها، ولكن لمّا كثرت المشاقّ، انعدم الاشتياق

(1) ابن الجزريّ، النَّشر في القراءات العشر: 2/302.
(2) الرَّاغب، المفردات: (شقق).
(3) الدامغاني، الوجوه والنظائر: 2/303، 302، 301.

من متاعٍ زائل وعرَضٍ حائل، وسيحلفون لك عند عودتك مُتَنَصِّلين: أنّ ما كانوا مستطيعين الخروجَ بغاية الجهد والطَّوق والكُلفة غير مبالين بما يُعَرِّضون أنفسَهم للعذاب والتَّلف جرَّاء التَّخلُّف عنك، والكذب عليك، وما فاتهم من شرف الصُّحبة وبركة الأسوة وعزَّة الاجتماع والاتِّباع.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ بأسلوب الشَّرط:

المنافقون يستحقُّون تخصيصَهم بخطابٍ وحدهم

الجملةُ في قول اللّهِ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، "استئنافٌ لابتداءِ كلامٍ على حالِ المنافقين، وغزوة تبوك، حيثُ تخلَّفوا، واستأذن كثيرٌ منهم في التَّخلُّف، واعتلُّوا بعِلَلٍ كاذِبَةٍ، وهذا الاستئناف ناشئٌ عن قوله سُبحانَهُ: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾ [التّوبة: 38]"[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بأسلوب الشَّرط (لو):

استحالةُ بذلِ الجُهدِ من المنافقين، لانعدام الوازع، وغياب الحافز

صُدِّرَت الآيَةُ في قولِ الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ بأسلوب الشَّرط بحرف الامتناع للامتناع (لو)؛ للتَّنبيهِ على استحالة اتِّباعهم رسولَ الله ﷺ، لاستحالة دعوته إلى العَرَض القريب، والمَغْنَم السَّهل المحَصَّل دون بذلِ الجهد، فهو بيانٌ للامتناع مبنيٌّ على امتناع ما عُلِّق عَلَيْهِ.

نُكتةُ إضْمارِ اسم كان:

ما لم يحصلْ في الواقع؛ يُحذَفُ في البنيةِ اللُّغويَّةِ

(كان) مِنْ قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ ناقصةٌ، اسمها محذوفٌ، والأصلُ: لو كان المدعوُّ إليه عرضًا، إلَّا أنَّ اسم كان حذِفَ ههنا، وفي حَذْفِه إشارةٌ إلى عدم وجودِ هذا المدعوِّ في الواقع أبدًا، فحُذِفَ مِنَ اللَّفْظِ لملاءمةِ البناءِ للواقع.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/208.

سِرُّ التَّعبيرِ بخبر كان نكرةً موصوفةً:

بيانُ حقارةِ المنافقين، وخسَّة غايتهم

جاء خبرُ كان ﴿عَرَضًا﴾ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ نكرةً، وهو ما يَعرض من منافع الدُّنيا، وتنكيرهُ للتَّحقير والتَّقليل كيفًا وكمًّا، واصْطُفِيَ هذا الاسمُ دون المتاع مثلًا؛ لبيان خُلُوِّه مِن أيِّ قيمةٍ، وعدَمِ حصولِ أيِّ متعةٍ به كشفًا عن دناءة نفوسِهم، وسُفول هِمَّتهم، ثمَّ زاد التَّحقيرَ تحقيرًا بالوصف ﴿قَرِيبًا﴾ أي: سهلُ المأخذِ قريبُ المنال، وكلُّ ذلك زيادةٌ في التَّحقير، وكلُّ تحقيرٍ في المرغوب فيهِ مِن المنافقين يعود بالتَّحقير عليهم أنفسِهم؛ إذِ النَّاسُ يُقاسون بما يَطْمَحون إليه.

سرُّ العطفِ على خبر كان:

التَّأكيدُ على حقارةِ هِمَّةِ المنافقين

عُطِفَ على خبرِ (كان) نكرةٌ موصوفةٌ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾؛ تأكيدًا على حقارة هِمَمِهم، ودناءة غايتهم، إذ يَخْلُدون إلى تحصيل العرَض بالرَّاحة والدَّعَة، والتَّنكيرُ يُرادُ به التَّقليل، ووُصِفَ بـ ﴿قَاصِدًا﴾ أي: ذا قصد بين القريب والبعيد، والتَّعبيرُ هنا مجازٌ فيما سَهُلَ حصولُه[1].

جوابُ الشَّرط ودلالتُهُ:

استحالَةُ اتِّباع المنافقين لرَسولِ الله ﷺ

بُعَيْد أن بُسِط القولُ في بيان المعلَّق عليه؛ وقع الجوابُ موجزًا بليغًا ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ مؤكَّدًا، فقال سُبحانَهُ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾، وفي ذلك تأكيدٌ لعدم اتِّباع المنافقين رسولَ الله ﷺ؛ لاستحالة ما عُلِّق عليه الاتِّباعُ، كما أنَّ في إطلاقه إشارةً لاستحالة اتِّباعهم على الإطلاق، "وتعليقُ الاتِّباعِ بكِلا الأمرين يدلُّ على عدَمِ تحقُّقه عند توسُّطِ السَّفر فقط"[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 10/208.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 4/67.

دلالةُ إفرادِ خاتم النَّبيين، بضَمير الخطابِ:

الرِّسالةُ واحدةٌ والرَّسولُ واحدٌ، من حين بُعِث وإلى قيام السَّاعة

إفرادُ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالخطابِ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾ فيه إثباتُ نبوَّته، وتعيينه وحدَه من قِبَلِ مُرْسِله، وأنَّه العَلَمُ الفَرْدُ، فلا يلتبِس على أحدٍ بغيره، وأنَّه لا يَسَعُ أحدًا إلَّا اتِّباعه، وكفايته وحده للبلاغ، وسعة هديه، ومأثور سننه، والأسوةُ الحسنة فيه وحدهُ.

وفي إفرادِ ضميرِ الخطابِ أيضًا: استحقاقُ رسولِهِ ﷺ التَّبجيلَ والتَّعظيم باعتناء اللهِ بخطابه، وتأنيسه ومواساته عن مفارقةِ مَنْ فارق، وأنَّه لا يضرُّ المفارِقُ إلَّا نفسَهُ، وفيه تقريرُ الشَّرف في اتِّباعه، وفوات المزيَّة عليهم لعدم اتِّباعهم، وانضمام اللهِ مع رسوله في موقف انصرافهم عنه وقعودهم إخلادًا دونه، وتولِّي اللهِ المنافحةَ عنه بالتَّنديد على المتثاقلين بالتَّوبيخ، وانحصار الإمامة العامَّة التَّامَّة للكافَّة من الأمَّة قاصيها ودانيها فيه من وقت بعثته وإلى أبد الدَّهرِ وانقضاء الدُّنيا، وأنه المرضيُّ من ربِّه، المنصور به على كل من ناوَأ وخالف ولو داهنَ أو هادنَ نفاقًا، وانحصار سبيل النَّجاة والظَّفر في الولاءِ له وصدق اتِّباعه.

بلاغةُ الالتفاتِ:

الإعراضُ عن توجيه الخطاب للمقصِّرين، بخطاب الحضور، إشارةٌ إلى كُره حضورهم

من قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ﴾، إلى قوله: ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾، "انتُقِل مِنَ الخطاب إلى الغَيبة؛ لأنَّ المُتَحَدَّثَ عنهم هنا بعض المتثاقلين لا محالة، بدليل قوله بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾"[1]، فهو صرفٌ للخطاب عنهُم، وتوجيهٌ لهُ إلى رسول الله ﷺ تعديدًا لِما صدر عنهم مِن الهَنَاتِ قولًا وفعلًا عن طريق المُبَاثَّة، وبيانًا لدناءة هممهم، وسائر رذائلهم"[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/208.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/67.

دلالةُ الواو، في قوله: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ﴾:

موقعُ الواوِ في قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ ذو دلالةٍ بديعة، "والواو حاليَّة"[1]، والحال هنا كاشفٌ عن حقيقة تثاقلِهم والدَّاعي إلى عدم خروجهم، فهو تمهيدٌ لِما بَعْدَهُ، وتقريرٌ لما قبله لتقييد عدم خروجهم وسببه بحال واحدة لا سواها، والمعنى: "لم يتَّبعوك تثاقُلًا إلى الأرض، ورضًى بالفاني الحاضر، من الباقي الغائب فحسبُ، ولكن بعُدت عليهم المسافةُ التي تُطوى بالمسير، فيحصُل بها النّكال والمشقَّة، فلم يُوازِ ما يحصل لهم بها من التَّعَب ما يرجونهُ من العرَض فاستأذنوك، وفي هذا إشارةٌ إلى ذمِّهم بسفُول الهمم، ودناءة الشِّيَم بالعجز والكسل، والنَّهَم والثِّقل وإلى أنَّ هذا الدِّين متينٌ لا يحملُه إلَّا ماضي الهمّة، صادقُ العزم"[2].

هـذا الـدِّيـنُ لا يحملُه إلَّا ماضي الهـمَّةِ، صادقُ العزم

سِرُّ التَّعبير بحرف الاستدراكِ (لكنْ):

عبَّر في قول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ بحرف (لكن) وهو حرف استدراك، لإلغاء كلِّ تعلُّلٍ يَتَعَلَّل به المنافقون، وبيان ما دفعهم إلى عدم الخروج حقيقة، وفي هذا فضحٌ لِما في قلوبهم، وبيانٌ لحقيقة أمرهم، وفي هذا نصْرٌ للأمَّة ببيان حقيقة رجالها، لئلَّا يُستعانَ بأمثالهم في نصرة دين الله تعالى، وحتى يحذرَ النَّاس منهم.

بيانُ حقائق ما في الـنُّـفـوس، تمييزٌ للخبيثِ من الطَّيِّب

وفيهِ أَعْلى مقاصدِ الاستدراك في هذا المقام؛ وهُو تأسيفُهم وتنديمهم على قعودهم، وبيان أنَّ ما فاتهم من الخيريَّة والصُّحبة والفضل لا يُلْحَقُ نَفْسُهُ، ولا يُسْتَعاض عنه بغيره.

وفيه معجزةٌ أخرى من معجزات القرآن العظيم، تثبت – إلى غيرها – أنَّه من عند الله وحده العليم بذات الصُّدور وخبيء الطَّوايا

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/104.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/323.

ومُسْتَتِر الأنفس، وبواطن الأمور، حيثُ أخبرَ عنهم بما في أنفسِهم؛ وأنَّهم سيحلفون؛ فما أنكروا، ولا أعذروا.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعل اللَّازم ﴿بَعُدَتْ﴾:

الشُّقَّةُ في قولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾: هي المسافة الشَّاقَّة، ومشَقَّتها هي بحسب استصعابِ النَّاظر فيها واستِسْهاله، فاصطفاءُ النَّظمِ الكريمِ التَّعبيرَ بالفعل اللَّازمِ هنا له دلالةٌ عجيبة؛ إذْ هو يصوِّر المكانَ نفسَهُ بكُرْهِهم، فابتعد عنهم، والسَّفر كأنَّه هو الكارِهُ تَلَبُّسَهُم به، فَبعُد عنهم، لتعاظمه عليهم، فهم لا همَّة لهم به، ولا نيَّةَ لهم فيهِ، فالذي بَعُد هو السَّفرُ والمسافةُ، فكأنَّهم أحقرُ من أن يَبْعُدوا عن الجدِّ، ولكنَّ الجدَّ هو الذي يَبْعُدُ عنهم.

الهممُ الحقيرةُ لا تطيقُ الأشياء، ومن فتر عزمه، ضعفت همّته

نكتةُ التَّعبيرِ بحرف الجرِّ ﴿عَلَيۡهِمُ﴾:

في قولِ اللهِ سُبحانه: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ عُبِّر بحرف الجرِّ (على)؛ لتضمُّن (بَعُد) معنى (ثَقُل)، ولذلك حَسُنَ الجمعُ بين فعل (بَعُدَت) وفاعله (الشُّقَّة) مع تقارب معنييْهما، كأنَّه قيل: ولكن بعُد منهمُ المكان؛ لأنَّه شقَّةٌ، فشَقَّ عليهم السَّفر، فجاء الكلام موجزًا[1]، ويمكن أن يكونَ وراء اصطفاء النَّظمِ الكريمِ حرفَ الاستعلاء: تصويرٌ اسْتِعارِيٌّ لاستعلاء السَّفر عليهم، وقهرِه لنُفوسِهم؛ إذْ هي بِجِبلَّتها خَسيسَةٌ، والسَّفر مشقَّةٌ وقطعةٌ من العذابِ، لا تنهض له النُّفوس الصِّغار.

المشقَّةُ تستعلي على الهمم الصِّغار

سِرُّ تقديم الجارِّ والمجرور على الفاعل:

قُدِّم الجارُّ والمجرور في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ وأُخِّر الفاعلُ؛ للكَشْفِ عن سرٍّ عجيبٍ؛ إذْ باعدَ بين الفعلِ والفاعل دلالةً على بُعْدِهِ عليهم، فقُدِّم ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ تأكيدًا لمعنى القَهْرِ

البغيضُ إلى النُّفوس يُؤَخَّر في الكلام، للكشف عمَّا في النَّفس

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/209.

والاستعلاء، وأُخِّر ما أخَّرته نفوسُهم وَهِمَمُهم، ولم تُطِق ذِكْره، فلاءم التَّرتيبُ في التَّركيبِ التَّرتيبَ في أحوال النَّفس.

وفي ذِكْرِ ما يفيد بُعْدَهُ عليهم على هذا النَّحو استجلاءٌ لحقيقة انفرادهم بالنَّظر في الاختيار لأنفُسِهم بحسب الاعتبارات البشريَّة والظُّروف الأرضيَّة، دون اعتبارٍ للرِّضا بخيرة اللهِ ورسولِه لهم، ودون اعتبارٍ للاستعانة بالخالق أو اللَّجأ إليه، عياذًا بالله من ذلك، ولذلك عُدَّت بعيدة عليهم هم دون رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وَمَن شَهِدَها معَهُ مِن أصحابه، ومَن خَلَّفه رسولُ الله ﷺ على المدينة، ومَن أتَوْهُ ليحمِلَهُم، وتولَّوا، وأعينُهم تفيض من الدَّمع حَزَنًا أن لم يجدوا ما ينفقون في الغزو، فرضي الله عنهم جميعًا.

ضَعْفُ الهِمَمِ حِطَّةٌ، ومِنَ الأعذارِ ما هو أقبحُ مِنَ الصَّنائع

بلاغة تأكيدِ الذَّمِّ بما يُشبهُ المدحَ:

قولُ المولى جلَّ وعلا: ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ فيه النَّعيُ عليهم بالخَوَرِ والوهن، والنُّكول، والجبن، والاستصعاب، والاستبعاد، والتَّوجُّس، وضعفِ العزيمة، وانحطاط الهمَّة، وعجزِ الرَّأي، وذهابِ الحيلة، وتلاشي المحاولة، وضيق الصَّدر، وعدمِ القدرة، وقفرِ المدارك، وفقْدِ البسالة، والشَّجاعةِ، والمروءة، والنَّخوة، والجِدِّ، والفروسيَّة، والفدائيَّةِ، والتَّضحية، والشَّهامة، والعزَّة، والكرامة، وإباء الضَّيم، والنُّفور من المعرَّةِ والعار؛ إذْ بَعُدَتْ عليهم وحدهم دونَ غيرِهم، ومع ذلك فإنَّ أسلوب القرآن العظيم أكَّد عليهم هذه المذامَّ التي فيهم بما يشبه المدح، كأنَّهم ما عاقهم، ولا قَعَدَ بهم إلَّا بُعْد الشُّقَّة التي تعكس ضعفَ الاحتمالِ، ورَهَقَ النَّفسِ، وعدمَ القدرةِ، فكأنَّه برغم ما شنَّع عليهم؛ رفَق بهم وستر عليهم وعاملهم بالحلم والإغضاء لتُصيبَهم رحمةُ النَّبيِّ ﷺ الرَّحمةِ للعالمين وَفقَ مُراد الله ومنَّته برسالته وبعثته، حتَّى يفسحَ المجال لمن أراد أن يتذكَّر ويُنيب، فيراجعَ ويقول: إنَّه لن يتخلَّف من بعدُ ثانية؛ إذْ لولا ضعفٌ به لا يلام

أصحابه عادةً عليه، إذ القدرة نِسبيَّة، والاحتمال نسبيٌّ، فيتذرَّع عن معرَّة الماضي، ويتورَّع في مكرَّة المستقبل، ومَنْ تاب؛ تابَ اللّٰهُ عليه.

وبلوغ الغاية مع بُعْدِ الشُّقَّة توفيقٌ، ورحمة متداركَة، ونعمة مُفاضَة، وشرف وسُؤدد، ونصر مبين، وعزٌّ بالغٌ، وتضحية في ذات اللّٰه، وقد شرَّف اللّٰه بها الخلصاء بالعمل، والخلصاء بالنِّيَّة، حتى قال لهم النَّبيُّ ﷺ في تبوك: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»[1]، فمَدارُ الأمرِ على القلوب وصدق النِّيَّة، وما النَّصرُ إلَّا من عند اللّٰه.

دلالةُ الواو، في قوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾:

الـتَّـأكـيـدُ على حقيقةِ مانِعِهم مِـنَ الـخـروج، بما سيكون مِنْ أَفْعالِهم

الواو في قولِ اللّٰهِ تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ استئنافيَّةٌ[2]، والاستئناف هنا يحقِّق معنى الكشف عن حقيقة ما في نفوسهم في الجملة السَّابقة، وإزهاق كلِّ أعذارهم، فجاء هذا الاستئنافُ بما سيكشف عَنْهُ واقعُ فعالِهم على حقيقة مانِعِهم من الخروج؛ لكبير دلالة كلِّ بلاغٍ على ما أُورِدَ له؛ إذِ الاكتفاءُ بخبر اللّٰه وتصديقه واليقين من حصوله على نحو ما قال اللّٰهُ تعالى يُحَقِّقُ مخالطةَ بشاشة الإيمان القلوبَ، وذلكم الإيمان بالغيب، وحصول حلفهم بعد توقُّعه وترقُّبه على النَّحو المُخْبَر به.

بلاغَةُ التَّعبير بالمستقبل:

الإخبارُ بالغيب فـيـه تـعـجـيـلٌ بفضح المنافقين، وبـشـارة للمؤمنين

في التعبير بما سيكون في قوله تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ إعجازُ الإخبارِ بالغيب، واصطفاء حرف الاستقبال (السّين) يدلُّ على قرب وقوع ما سيكون، وهو حافزٌ للتَّرقُّب العاجل، وفيه راحةٌ للمؤمنين، بقرب كشفِ الخبيث عن نفسهِ، وإبانته عن حقيقةِ أمره، حتَّى يُعْلَمَ الرِّجالُ من غيرهم، والنَّاصرون من الخاذلين، فالتَّعبيرُ بالمستقبل فيه إعجاز بفضحِ المنافقين أنفسَهم، وفيه بشارةٌ للمؤمنين.

(1) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (4161) واللفظ له، ومسلم في صحيحه، برقم: (1911).
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/104.

بلاغةُ إيرادِ لفظ الحلف دون القسم:

للقرآنِ انفرادَتُهُ بـالـعـذوبـة والحلاوة، وبُعدِ المفادات

لَمَّا آثر القرآنُ الكريم - في قوله ﴿وَسَيَحْلِفُونَ﴾ - اقترانَ الفعل بسينِ الاستقبال القريب، لم يكن لمادَّة القسم لفظًا أَنْ تدخل؛ إذِ اللَّفظ يكون عندئذٍ (وسَيُقْسِمون)، وفيه من الثِّقل والوعورة والنُّبوِّ ما يأنف البيانُ منه ويَنِدُّ - إلَّا متكرِّهًا - عن سماعِهِ، فتَلَطَّف القرآنُ بالحاسَّة وأشبع الذَّوق البيانيَّ حلاوة وطلاوةً ولذاذة، هذا برغم أنَّه أورد المادَّة حيث تَخِفُّ، ولا تثقل، فقال: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾، ﴿قُل لَّا تُقْسِمُواْ﴾، هذا من جهة.

ومن جهةٍ ثانية؛ فإنَّ في مادَّة القسَم اشتراكًا لفظيًّا مُنبِئًا عن معنى القسمة، فيَحْسُنُ استعمالُ القسم حين يكون لما يقتضيه الاشتراكُ من القسمةِ وجودٌ، ويَشِفُّ ذلك، ويَخِفُّ، ويلطف، حتى لا يكاد في الأغلب الأعمِّ، وسواءٌ أكان المراعى فيه ذلك قسيمًا أم مقسومًا، فهذا وجهٌ ثانٍ معجزٌ؛ إذْ لا قسمةَ هنا يُقْسَمُ عليها ولا تقسيم، فكان العدولُ عن اللَّفْظِ إلى ما يُغني عنه في المقام عدولًا يقتضيه أرجحيَّةُ البيان، لعدم المناسبة.

ومن جهة ثالثة؛ فقد كان الذين تخلَّفوا - وسيحلفون من بَعْدُ تَنَصُّلًا - منهم عِلْيَةُ رؤوسٌ، ومنهم أذنابٌ وذيول وأعقاب، وشأنُ الكبراء والسَّادة أن يجريَ على لسانهم (القَسَم)؛ لأنَّه أرقى في التَّعبير، وأخصُّ بطبقة الكبراء وأساليبهم المتناغمة مع طبقتهم، المتخيِّرة من صنوف القول وتصاريفه، أمَّا الدَّهماء والغوغاء والسَّفلةُ، مِنَ الأذناب والأعقاب والذُّيول؛ فيجري على ألسنتهم الحَلِفُ؛ لأنَّه أكثر شيوعًا وأفشى استعمالًا مِنَ القسم، فيشبه أن يكون العدول عن مادَّةِ القَسَم إلى مادَّةِ الحلف تنزيلًا للكبراء على مألوف الدَّهماء؛ لأنَّهم تَسَفَّلوا فيما يُتَكَلَّف فيه، ويُتَصَنَّعُ له، ويُعْتنى به من الفعل، فكانوا مع القاعدين مِنَ الصِّبية والضَّعفة والنِّساء،

وكان اللَّفْظُ الواحد مؤذِنًا بِضَعَتهم وحقارتهم وخِسَّتهم ونقص موازينهم، ما تؤذن به الجملةُ، وتأمَّلْ في هذا المقام كيف قُرِنَت آيةٌ نزلت في مقامٍ آخرَ ومناسبةٍ مغايرةٍ مُنْذُ عهدٍ بعيدٍ، بين ﴿حَلَّافٍ﴾ و﴿مَّهِينٍ ۝١٠﴾ [القلم: 10]، مصدِّرةً اللَّفظَ الأوَّلَ بجعله مضافًا إليه، والمضافُ لفظُ ﴿كُلَّ﴾ المؤذنُ بأنَّ ذلك سَتَتَعَدَّد صُوَرُه وتكثر أمثاله، فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ [القلم: 10]، فلمَّا رضوا لأنفسهم الدُّونَ مِنَ الدُّنيا الدَّنِيَّة؛ كان كلُّ ما اتَّصلَ بِهِم لفظًا ومعنًى مُشْعِرًا لهم بذلك، ولغيرهم عنهم أنَّهم كذلك.

وانظر كيف جاء التَّعبيرُ بالقسم دون الحلفِ حين انفرادِ الكبراء بتصريف القول في مقام العدَّةِ بما يكون من الملأ الذين يحقُّ عليهم القولُ في مواقفِه الحاسمة، وينظر ما قولهم في الخطب الجديد: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌۚ﴾ [النور: 53].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمحلوف عليه:

تأكيدُ عُذْرِهم الكاذبِ، بِجَعْلِ اليمين وسيلةً لِذَلِكَ

(بالله) مِنْ قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ متعلِّقٌ بـ (يحلفون)، وقوله: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾ مقولُ قولٍ محذوفٌ، منصوب على الحال، أي: قائلين، وعليه تكون جملةُ ﴿لَخَرَجْنَا﴾ سادَّةً مسدَّ القسَمِ والشَّرْطِ جميعًا، و﴿مَعَكُمْ﴾ ظرفٌ متعلِّقٌ بـ (خرجنا)[1]، هذا التَّركيبُ الكثيف العجيب الَّذي اقترن فيه القسمُ بالشَّرط ورَدَ بيانًا؛ تأكيدًا للعُذر الكاذب بجعل اليمين جِسْرًا لذلك، وتعليق عدم الخروج على عدم الاستطاعة، وربط وجودِه بوجودها؛ بيانًا لاستحالة خروجهم لامتناع استطاعتهم.

سِرُّ التَّعبيرِ بالظَّرف:

في قوله: ﴿مَعَكُمْ﴾، تعليقُ خروجهم بكونه معهم، "وتقييده

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/104.

بالمعيَّة إشعارٌ بأنَّ أمر الغزو لا يُهمُّهم ابتداءً، وأنَّهم إنَّما يخرجون - لو خرجوا - إجابةً لاستنفار النَّبِيِّ ﷺ خروجَ النَّاصر لغيره"[1]، من غير أن يكون ذلك مُهِمًّا له أو يعنيه في نفسه.

النِّفاقُ يَقْعُدُ بالمَهمِ عن مطامحِ الشَّرف

موقعُ قوله: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ ودلالته:

تغزيرُ المعاني والعبارة واحدة، بلاغة آسِرة

الهلاكُ يُطلق في الأصلِ على الأضرار الجسميَّة، وإيقاعه على الأنفسِ مفعولًا به مبينٌ عن أخطر الأضرار، و"في هذه الجملة ثلاثةُ أوجهٍ، كلُّها من الوجوه النَّحويَّة لعلاقتها بما قبلَها، بما يجعلها جزءًا من الجملة السَّابقة:

أحدها: أنَّها حال من فاعل ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾، والمعنى: أنَّهم سيحلفون مُهْلِكين أنفسَهم بهذه الأَيْمان الفاجِرة، وهلاكُها تعريضُها لبأس الله وغضبه وعقابه وأليم عذابه.

ثانيها: أنَّها بدلٌ من الجملة قبلَها، وهي ﴿سَيَحْلِفُونَ﴾.

ثالثُها: أنَّها حالٌ من فاعل ﴿لَخَرَجْنَا﴾ والمعنى: لخرجنا مهلكي أنفسنا.

وقد قالوا بمرجوحيَّةِ الوجه الثَّاني؛ لِبُعْدِهِ؛ إذِ الإهلاك ليس مرادفًا للحَلِف، ولا نوعًا منه، ويُجابُ بإمكانِ اعتباره بدلَ اشتمال؛ لأنَّ الحَلِفَ سببٌ للإهلاك، فهو مشتمِلٌ عليه، فأبدل المسبَّبَ من سببه لاشتماله عليه.

واسْتُبْعِدَ الثَّالث؛ لكونه جاريًا على ضمير التَّكلُّم في ﴿لَخَرَجْنَا﴾، والقولُ بأنَّه جاء به على لفظ الغائب بعيدٌ؛ لأنَّه ليس مخبرًا عنهم بقول: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾، بل هو حاكٍ لفظَ قولهم، والحال ينبغي أن يكونَ من جُمْلةِ كلامِهم المحكيِّ[2].

والوجهُ الأوَّلُ - وإن كان هو الأَوْجَه - لشِدَّة ظهوره، وسطوع نوره،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/209.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 10/525، 524، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/75، 74، والسّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 6/55، 54.

واقتضاب عبارته، ووضوح إشارته، واستبانته على وجازته، إلَّا أنَّ كُلَّ هذه المعاني وغيرِها مِن مِثْلِها ممكنةُ الاجتماع دون مزاحمةٍ، والمعنى ورود الهلاك عليهم بما كسبت أيديهم دون مُراحَمةٍ، فالحَلفُ سببُ الهلاك، والحَلفُ بعد العودة مِنَ الغزوة سَيُقارِنُه الهلاكُ، فيكون القولُ تهديدًا لَهُم، والهلاك مُسْتَشْعَرٌ مخوف أنْ سيقارن خروجهم لا محالة، فلذا امتنعوا عن الخروج بحسب ما قام بأنفسِهم مِنَ التَّوَهُّم الذي أبداه الله؛ فقد ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: 46]، وإرادته سبحانه ماضية كما شاء دون تَخَلُّف، وكل هاتِيك المعاني المتضافِرة المتكاثِرة، والجملةُ واحدةٌ لكن اختلاف مَطَارِحِ النَّظَر، ومطامح الفِكَر، في تعيين مواقعِ الإحالة المنتخَبَةِ في بِنْيَة الجملة على هذا النَّحو غزَّر الدَّلالات في اجتماعٍ بديعٍ، وهو من أعلى طبقات الإيجاز، وآيات الإعجاز.

وثَمَّ وجه رابعٌ: أنَّ تكونَ جملةً استئنافية أخبر الله عنهم بذلك[1]، وعليه فلا تكون الجملة من حكاية كلامهم، ويكون الاستئنافُ مسوقًا للتَّهديد والوعيد.

بلاغةُ الخَتْمِ بالجملة الحاليَّة:

أمـرُ المنافقين مفضوحٌ، وفعلُهم مرصودٌ

الواو في قولِ اللهِ سُبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ واو الحال، والمعنى: "والحالُ أنَّ الملك الأعظم المحيط علمًا وقدرة سبحانه ﴿يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم، والفضيحة عند الله بعلمه بكذبهم في أنَّهم غيرُ مستطيعين"[2].

دلالةُ التَّعبير بالاسم الأعظم، مُسْنَدًا إليه خبره:

تأكيدُ علمِ الله زيادةٌ في التَّهديد والوعيد

جاءتِ الجملةُ الحاليَّةُ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ جملةً اسميَّة، وجاء الاسم الجليل مُسْنَدًا إليه؛ لإدخال المهابة على القلوب، وهو

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرُّ المصون: 6/55، 54.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/323.

المناسب للحديث عن المنافقين الذين يتصرَّفون كأنَّ الله لا يطَّلع على ما أسرُّوا في أنفُسِهم، واسْتَكْتموا في صدورِهِم، أو يَرُوجُ عليه جلَّ وعزَّ باطِلُهم وزيفُهم وإن واراهُ حسنُ كلامهم، وسَوْقُ تعلُّلاتهم.

ووقعَ الخبر ﴿يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ جملةً فعليَّةً فعلُها مضارع إلماعًا إلى استمرار عِلْمِهِ سُبحانَهُ منذُ الأزلِ وإلى الأبَدِ، كلَّما أحدثوا شيئًا؛ فهُو لهم بالمرصادِ، وهذا الملائم لمقام الوعيد.

كما أنَّ في تقديم المُسْنَد إليه على خبره الفعليِّ تأكيدًا بإسناد العِلْم مرَّتين للاسم الجليل؛ مرَّةً بكون الخبَرِ جملةً فعليَّةً مضارعيَّة، وأخرى بكون فاعل (يعلم) ضميرًا مستترًا يعود على الاسم الجليل.

نكتةُ كسرِ همزة (إنّ) بعدَ فِعْلِ العلمِ المضارع:

تَيئيسُ المُنافِقين والغِلْظَة عليهم وتَقْريعُهم

كان فتحُ همزةِ (أنَّ) بعد الفعلِ المضارع (يعلم) مُرْتَقَبًا مُتَوقَّعًا، لكنَّ البلاغ المفحِم، والبيان المعجز، والنَّظم الموحى عدَلَ عنه لنُكْتَة بيانيَّةٍ بالغة الحُسْن، فائقة التَّأثير، ذلك ليُضَمَّن العلم معنى القسم، فيكون كلُّ معلومِهِ تعالى المخبر به منزَّلًا منزلة المُقْسَم عليه تأييدًا وتوكيدًا، وتعلية وتقوية، ويكون - هنا - أبلغَ في تيئيس المنافقين، وأمثلَ في الغلظة عليهم، وأحمى في دفعهم وقرعهم؛ لإيغالهم في السَّفهِ.

ولأنَّ المنافقين أهلُ شكٍّ وريب؛ كان توكيدُ الكلام بشتَّى المؤكِّدات، كاسميَّة الجملة، والفِعْلِ (يعلم)، والفِعْل (يُقْسِم)، وكلُّ هذه المؤكِّدات في جملة واحدة، تجدِّد كُلَّ ذلك مع تجدُّدِ إحداثهم التَّوكيد الدَّاخل على المسند إليه، واللَّام الدَّاخلة على الخبر، ومجيء الخبر اسمَ فاعل.

للمنكرين نمَطٌ في الخطاب، يُبَيِّنُ حقيقةَ وصفِهم

سِرُّ توكيدِ الجملةِ التّي سدَّت مسدَّ مفعولَيْ: ﴿يَعْلَمُ﴾:

جاءتِ الجملة في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ مؤكَّدةً بمؤكِّداتٍ شتَّى، وهو الملائمُ لخطاب المنكرين؛ لِما تَرْجَمَتْهُ

أفعالُ المنافقين وأقوالُهم الدَّالَّةُ على أنَّهم يُنْكِرون علمَ الله بِكَذِبِهم، وقُبْحِ مطاوي أنفسِهم، لذا أُكِّدَ الكلام بـ (إنَّ) واسميَّة الجملة التي تنتج معنى نفي الشَّكِّ في أنَّ الكذبَ صِفَتُهم المستمرَّة، وذلك لِما في اسميَّة الجملة مِنَ التَّجرُّد لبيان المعنى دون ارتباط بزمن، ثُمَّ جاءتِ اللَّام مؤكِّدًا ثالثًا، والقَسَمُ المقدَّر، واسمُ الفاعل في المسند الدَّالِّ على اطِّراد الوصف مستقبلًا دائمًا، ووقوعُ الجملةِ معمولًا لخبر الجملة الاسميَّة المصدَّرة بالاسم الأحسَن (اللّه)، وكونُ المتكلِّم بذلك هو اللّه، أهل الصِّدق كلِّه، وكونُ الخبرِ أُذيعَ وأُشيع في المعيَّنين، فَلَم يُنْكِر أحدٌ منهم، فهذه جملةٌ من المؤكِّدات الأسلوبيَّة اللَّفظيَّة والمعنويَّةِ ما لا يوجَدُ لَهُ نظيرٌ فيما عُهِدَ من البلاغةِ والبيانِ.

بلاغةُ التَّعريضِ بالتَّهديد:

الإعلامُ بِتَحَقُّق سبب العقاب، أبلغُ في التَّهديد من التَّصريح بالعقاب

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾، القولُ كلُّه تعريضٌ بتهديدِ المنافقين؛ لأنَّ المرادَ ما يترتَّب على علمِهِ سُبحانهُ بكذبهم، وإنَّما لم يَقُلْ: واللّه سيعذِّبهم على كذبهم؛ لأنَّ المذكورَ الذي عليهِ النَّظم أوقعُ في التَّهديد، وأشدُّ في الوعيد؛ لِما في ذِكْرِ السَّبب مِنْ قطع تعلُّق النَّفس بِجَدْوى مُحاولة نَفْيِه، ولِما في ذلك مِنَ التَّنديد عليهم به، ولِيَنْكَفُّوا عن محاولة الظُّهور بمظهر المُتَنصِّل أمامَ رسولِ الله ﷺ ومن مَعَهُ من أَتْباعه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»